(١)

مجموعة وثائق مبـــادرات السلام

(فبراير ١٩٧١ -- نوفمبر ١٩٧٧)

الوثيقة رقم (١)

مقتبسات من بيان الرئيس أنور السادات

امام مجلس الامة ٨ ذو الحجة ١٣٩٠ هجرية (٤ فبراير ١٩٧١)

... ان عملنا فى سبيل كفالة الاحترام لالتزاماتنا المبدئية لم يتوقف طوال السنوات الماضية لا على أرض المعركة ضد العدو ولا فى شرح حقائقها أمام الرأى العام العالمى كله ولا فى محاولات التعاون مع مجتمع الدول فى سبيل ايجاد مخرج يكون السلام قائما على العدل ويستهدى بمبادىء القانون الدولى ...

وفى كل محفل دولى وفى كل مؤتمر عالمى كان نداؤنا هو نداء السلام ولم نكن نعلقه بغير شرط واحد هو أن يكون سلام العدل الذى يدوم لا يقوم ولا يدوم سلام فى مقابل ذلك من جانبنا . كان العدو من جانبه يقوم بما يلى : كان يماطل ويتهرب من أى سؤال يوجه اليه عن حقيقة نواياه وكان واضحا طول الوقت اصراره على رفض تنفيذ قرار مجلس الأمن والبحث باستمرار عن مخرج للتحايل من بنوده .

ولكى نؤكد للعالم صدق نوايانا وحرصنا على السلام ، اذا كان للسلام طريق ، فاننا فى شهر يوليو من سنة ١٩٧٠ قبلنا بمبادرة تقدم بها باسم الولايات المتحدة الأمريكية وزير خارجيتها المستر وليم روجرز .

كان متوقعا فيها احراز بعض التقدم نحو الحل السلمى للأزمة ، ولكن ذلك لم يتحقق لأن العدو تعلل بفريعة شبكة الصواريخ المصرية على جبهتنا وامتنع عن الاتصال بممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، وانتهت مدة الشهور الثلاثة المقررة ووضعت الأزمة بكاملها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التى أصدرت فى ٤ نوفمبر الماضى رأيها بعد وقف اطلاق النار المؤقت ثلاثة شهور أخرى ...

وأكدت تمسكها بتنفيذ قرار مجلس الأمن ، كما أنها وسمت طريقا يؤدى بممثل السكرتير العام للأمم المتحدة الى العودة لاستئناف مهمته ، أن اسرائيل أضاعت فترة وقف اطلاق النار الأولى حتى حصلت على أسلحة ومعدات بغير حدود تحت حجة استعادة التوازن ازاء ذريعة الصواريخ المصرية .

ولكنها (أى اسرائيل) فى رأينا عادت الى سيرتها ، كانت أوراقها اليه تكرارا لمواقفها السابقة التى تعكس تربصها لكل أمل فى سلام تدعيه ظاهرا ولا تريد باطنا فيما فى الحقيقة لا تريد عن التوسع بديلا ، تتكره بالكلمة وتؤاسره بالعمل ولعلنا لم ننس بعد ، أيها الأخوة ، اعلان اسرائيل رسميا ، ضم سيناء الى

واشنطن فى أكتوبر ١٩٥٦ . وحين طلبت بعدوان الثلاثى أن الفرصة قد واتته ودانت لها ، ثم بدأنا نسمع طلب مد المدى وقف اطلاق النار لأن فسحة الوقت غير كافية .

وتقديرا للمسئوليات التاريخية المقررة التى تميلها بعث برسالة الى الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون وتضمنت منه ردا على رسالتى ويؤسفنى أن أقرر أمام حضرتكم أن الموقف الأمريكى على ما هو عليه ، من انحياز كامل لاسرائيل .

أنقد طلبت فى رسالتى الاجابة على سؤال محدد : ماذا تريد الولايات المتحدة الأمريكية ؟؟ ولم أتلق اجابة على هذا السؤال ، ولا يحتمل أن تأتينى اجابة على هذا السؤال فى نفس الوقت فانه حين كنت وزير الخارجية الأمريكى خطابا فى زميله الفرنسى ، فانى شجعت استمرار المراسلات بينهما قصد الوصول الى أكبر قسط من الفهم والوضوح ، وكنا شديدى الالحاح على دعوة الدول الأربع الكبرى التى مهمتها ومسئولياتها عن حفظ السلام باعتبار عضويتها الدائمة فى مجلس الأمن وباعتبار مكانتها الدولية وباعتبار اهتمامها المباشر بأطراف الأزمة . وكان تعاونا غير محدود أو مشروط مع السكرتير العام للامم المتحدة ، ومع ممثله الخاص ، المكلف بمتابعة تنفيذ قرار مجلس الأمن . ثم وصلنا هذا الأسبوع الى مفترق طرق . من ناحية فان العدو يواصل احتلاله لأراضينا ويحاول تثبيت هذا الاحتلال بتغيير طبيعة الأرض ، خصوصا فى القدس والضفة الغربية ، والمستعمرات التى يقيمها فى المرتفعات السورية وفى صحراء سيناء المصرية .

ومن ناحية ثانية ، فاننا لا نستطيع الوقوف ساكتين أمام هذا الذى يجرى وهو جزء المقدس الذى لا يمكن أن يفكره علينا أحد ، هو واجب تحرير الأرض والعودة الى الاشتباك مع العدو .

ومن ناحية ثالثة فان الاتصالات فى الأمم المتحدة لا تحقق نتيجة تعتبرها مرضية حتى الآن لأن العدو مستمر فى عناده وتعنته . ليس هذا فقط ولكن المجتمع الدولى كله وبلادى ، الغالبون الدوليون من أول حرف فيها الى الحرف الأخير .

ومن ناحية رابعة فان أطراف عديدين يعرفون معنا يمكن أن نعد فى وقف اطلاق النار ولو لأسابيع معدودة .

وكانت الاعتبارات المعروفة أمامنا باختصار ، على النحو التالى :

أولا : أننا لا نستطيع ولا يحق لنا أن نترك وقف اطلاق النار يتحدد تلقائيا عما لم يحدث تقدم فى جهود السفير جونار يارنج وادا تركنا ذلك يحدث فمعناه أن خطوط وقف اطلاق النار قد تصبح أمرا واقعا . أو قد تصبح خطوطا سياسية ، على نحو ما حدث خطوط هدنة سنة ٤٩ ، وهذا ما لن نسمح به تحت أى ظرف من الظروف .

ثانيا : أننا نرى المحاولات البارعة الواسعة ، مع الأسف ، التى تسعى الى تصويره على الرأى العام العالمى وتحاول أن تصور له المشكلة على غير حقيقتها فتقدمها له وكأنه بضمانات تتصح قضية وقف اطلاق النار أو اطلاق النار ، مع ما يترتب على هذا التبسيط المخل من الايهام بتعنت الطرف الذى يبدأ باطلاق النار .

ان أساس المشكلة هو العدوان ، والمعتدوان هو فرض الاحتلال بقوة السلاح وأما اطلاق النار لازالة الاحتلال فهذا هو الحق الطبيعى والشرعى والقانونى . بل هو الواجب المقدس لكل من يحترم الحرية ويؤمن بها على كل أرض وكل شعب .

ثالثا : أننا يجب أن نعترف ونصارح أنفسنا أننا لا نجد حتى الآن ما فيما تقوله اسرائيل وتتصرف به ، سواء فى الأمم المتحدة فى نيويورك ، أو على أرض منطقة الأزمة فى الشرق الأوسط ، اشارة واحدة توحى الى استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، بل ان كل الدلائل تشير الى سعيها الدائب لتعطيله ولابطال مفعوله ولعرقلة كل المجهود الدولية التى تتحدد أساسا لحل الأزمة وأبسط شاهد

تعنى ذلك ، لا يستقيم كلام عن السلام واحتلال لأرض قائم ، ولا يستقيم كلام عن السلام وتهديدات غرور القوة وحماقتها مستمرة .

أن المناقشات العميقة المؤمنة والمسئولة انتهت بنا الى تحديد موقفنا على النحو التالى :

أولا : ان الجمهورية العربية المتحدة تعتبر نفسها ملتزمة بمسئولية واحدة لا يدين لها وهى تحرير جميع الأراضى المحتلة فى عدوان ٦٧ ذلك هو الالتزام الأكبر وفى سبيله كل عملها السياسى والعسكرى والاقتصادى والدبلوماسى وعلى طريقه ، كل التضحيات مهما يلمت . أن الالتزام الأول لكل أمة هو التزامها تجاه حريتها فى اطار مبادىء القانون الدولى ولا يستطيع أحد أن يطلب اليها أو يفرض عليها التزاما يتعارض مع هذا الالتزام المقدس ، وعلى أساسه ، فان عنينا أن تحتفظ لنفسها بحرية وحق التصرف فيما تواجه .

ثانيا : أننا مع هذا الالتزام الأكبر والأول نقبل نداء السكرتير العام للأمم المتحدة ونقرر الاشتاع عن اطلاق النار لفترة لا تستطيع أن نجعلها تزيد عن ثلاثين يوما ، تنتهى يوم ٧ مارس القادم ، وعليه ــ أى على السكرتير العام ــ وعلى مجتمع كله أن يتحقق فى هذه الفترة من أن هناك تقدما حقيقيا فى صلب المشكلة وليس فى مجرد مظاهرها الخارجية ونحن نرى أنه من الضرورى أن يطلع مجلس الأمن قبل نهاية هذه الفترة على تقرير من السكرتير العام للأمم المتحدة عما تم احرازه من تقدم ، ومع أننا نعرف منذ الآن وسلفا أن اسرائيل ، بمساعدة الولايات المتحدة ، وتأييدها لها على بياض ، لن تتقدم عن موقفها الحالى ، فاننا ندعو الله أن تثبت التجربة العملية أن شكوكنا لم يكن لها ما يبررها .

ثالثا : أننا نضيف الى كل الجهود الرامية الى حل الأزمة مبادرة مصرية جديدة تعتبر العمل بمقتضاها مقياسا حقيقيا للرغبة فى تنفيذ قرار مجلس الأمن . أنها تطلب أن يتحقق فى هذه الفترة التى ينتج فيها عن اطلاق النار انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية على الشاطىء الشرقى لقناة السويس ، وذلك كمرحلة أولى على طريق جدول زمنى يتم بعد ذلك وضعه لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الأمن ، اذا تحقق ذلك ، فى هذه الفترة ، فاننا على استعداد لليده فورا فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى .

ونحن نعتقد أننا بهذه المبادرة نثقل جهود السفير جونار يارنج من الأثقال بالمناقشة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الأمن . ونفعل ذلك بطريقة يمتد أثرها الى ميالم كل الدول التى تأثر اقتصادها باغلاق قناة السويس بسبب العدوان الاسرائيلى ونتيجة لارهابه ...

أيها الأخوة :

لقد طلبت الى وزارة الخارجية أن تضع تقريرا مفصلا عن كل الاتصالات التى دارت خلال السنوات الأخيرة فى مكتب رئيس مجلس الأمة كما طلبت أن يوضع نص قرار مجلس الدفاع الوطنى لأن بعض بنوده مما يدخل فى نطاق السرية . وكذلك طلبت أن يوضع محضر مناقشات اجتماعات اللجنة المركزية بتاريخ الأمس ٣ فبراير سنة ١٩٧٢ لتكون الصورة بكل تفاصيلها أمامكم لتكونوا على بينة كاملة من موجبات كل موقف نتخذه . وأود فى النهاية أن أرد أمامكم للتأكد أن الموقف يتلخص كله فى حقيقتين اثنتين :

الأولى : ان وقف النار أو اطلاق ، ليس هو القضية وانه التقضية هى تحرير كافة الأراضى العربية . ورد الحق الشرعى لشعب فلسطين . هذه هى القضية التى نتقدم من أجلها ، وفى سبيلها كل شىء ، بغير تحفظ ولا تردد ، لى آخر الشوط .

الثانية : أننا مع كل فرصة نعطيها للمجتمع الدولى تقديرا واحتراما له ، لنا أن ندرك أن الأمر فى النهاية منوط بقوتنا وحدها . أننا نعرف عدونا بأكثر مما يعرفه غيرنا ، مهما كانت درجات اهتمامهم بالأزمة ، لأننا نحن الذين واجهنا ونواجه مخططاته ومؤامراته وليس يعرف النار الا من اكتوى بها . ومن معرفتنا بالعدو فى قمتنا كاملة أنه لن يرتدع بغير قوة ولن يتراجع الا تحت ضغطها .

أيها الأخوة :

أننا بعد الحديث الى امتنا وشعب توجه بكلمة أخيرة غير محدودة . لقد أدينا واجبنا تجاه العالم واتجاه السلام بأقصى ما نستطيع ؛ ولقد حان الوقت الذى يجب أن يؤدى فيه غيرنا ، وجه تجاه العالم واتجاه السلام . أن الواجب ليس شريفة نفرض على بعض الناس ، وبعض منها غيرهم ؛ وانما الواجب خصوصا

على المستوى العالمى مسئولية واسعة . انى أقول بوضوح أننا أبرأنا ذمتنا تجاه ما طولبنا بالحرص عليه ؛ ولكننا نريد أن يعرف الجميع أنه ليس هناك شيء حرص عليه أكثر من حرصنا على وطننا وعلى امتنا ولا يستطيع البشر أن يحرصوا على الغير بأكثر مما يحرصون على النفس . ومن هنا ؛ فاننا نقول أنه قد حان الوقت وبسرعة لكى يتحمل غيرنا نصيبه من الواجب بطريقة حازمة وحاسمة أن مجتمع الدول كله مدعو الى وقفة صريحة ، لا لبس فيها ولا غموض أن الأمم المتحدة أمامها خيار أن تكون موجودة ولا تكون . أن الدول الكبرى منها مسئولية فى صيانة النظام الدولى القائم لا تستطيع أن تتخلى منها .

ان الرأى العالمى كله مطالب بأن يمزق كل ضباب الدعاية الاسرائيلية ضلالة التى تنشرها فى كل مكان مدعومة بأحدث وسائل التأثير المصنوع والمختلق . أننا نريد أن يعرف العالم أن لنا حقا نطالب به ؛ ونريد فى نفس الوقت أن يعرف العالم أن لدينا القوة التى نستطيع بها المطالبة بهذا الحق ، لا استجداء ولكن عزة وشرفا . ولا رجاء ؛ ولكن قتالا واستبسالا .

ايها الاخوة :

فلتكن أقوياء بالحق ؛ أقوياء بالايمان ، أقوياء بالحرية ؛ أقوياء بما فى ايدينا من وسائل القتال أقوياء برجالنا على خط النار من قواتنا المسلحة الذين ينظرون بالرجولة كلها وبالثقة كلها وبالنيل كله اشارة التقدم . انهم جندنا وهم ، فى نفس الوقت ، بالحق والايمان جند الله وسوف يكون لهم نصره منه تكريما لامتهم الخالدة وصونا لشرفها واعلاء لمكانتها بين الأمم .

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الوثيقة رقم (٢)

خطاب الرئيس محمد أنور السادات

(فى السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣) أمام مجلس الشعب

ايها الأخوة والأخوات :

كان يودى أن أجىء اليكم قبل الآن ، التقى بكم وبجماهير شعبنا وأمتنا ، لكن مشاغلى كانت كما تعلمون وكما تريدون ، وأنتم اكثر تقدرون وتعذرون ، ومهما يكن فلقد كنت أحس بكم وبشعبنا وأمتنا معى فى كل رأى وكنت أحس بكم وبشعبنا وأمتنا معى فى كل قرار ، كنتم جميعا معى ، فيما اخذته على مسئوليتى تعبيرا عن ارادة أمة ، وتعبيرا عن مصير شعب ، ثم وجدت مناسبا أن أجىء اليكم اليوم أتحدث معكم ومع جماهير شعبنا ومع شعوب أمتنا العربية وأمام عالم يهمه ما يجرى على أرضنا لأنه وثيق الصلة بأخطر قضايا الانسانية ، وهى قضية الحرب والسلام ذلك لأننا لا نعتبر نضالنا الوطنى والقومى ظاهرة محلية أو اقليمية لأن المنطقة التى نعيش فيها بدورها الاستراتيجى والحضارى فى القلب من العالم وفى الصميم من حركته ، ولأن الحوادث كبيرة ولأن التطورات متلاحقة ولأن القرارات مصيرية فأنتى أريد أن أدخل مباشرة فيما أريد أن أتحدث فيه معكم وسوف أركز على نقطتين : الحرب والسلام .

أولا : الحرب . لست أظنكم تتوقعون منى أن أقف أمامكم لكى نتفاخر معا ونتباهى بما حققناه فى أحد عشر يوما من اهم وأخطر ، بل أعظم وأمجد أيام تاريخنا ، وربما جاء يوم نجلس فيه معا لا لكى نتفاخر ونتباهى ، ولكن لكى نتذكر ونتدارس ونعلم أولادنا وأحفادنا جيلا بعد جيل ، قصة الكفاح ومشاقه ، ومرارة الهزيمة وآلامها ، وحلاوة النصر وآماله .

نعم سوف يجىء يوم نجلس فيه لنقص ونروى ماذا فعل كل منا فى موقعه .. وكيف حمل كل منا أمانته وأدى دوره ، كيف خرج الأبطال من هذا الشعب وهذه الأمة فى فترة حالكة ساد فيها الظلام ، ليحملوا مشاعل النور وليضيئوا الطريق حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء .

ذلك كله سوف يجيء وقت وأنتكم لم تفعلوني على أن أعيش اليوم من المستقبل وأعيد به بسخص أن أتكرس له وقتا وجهدا ؛ وإذا جاز لي أن أتوقف قليلا وأنا أعلم أن لكم سنوات الى ساعي الكثير دائر أقول ما يلي :

حاولت أن أفي بما عاهدت الله وعاهدتكم عليه .

أولا : فيما يتعلق بنفسي فقد حاولت أن أفي بما عاهدت الله وعاهدتكم عليه ، حاولت أن أفي بما عاهدت الله وعاهدتكم عليه قبل ثلاث سنوات بالضبط من هذا اليوم ؛ عاهدت الله وعاهدتكم على أن قضية تحرير التراب الوطني والقومي ، هي التكليف الأول الذي حملته وملأ نفسي وملأمة ؛ عاهدت الله وعاهدتكم على أن لن ادخر جهد ، ولن أتردد دون تضحية مهما كلفتني في سبيل أن تصل الأمة الى وضع تكون فيه قادرة على دفع ارادتها الى مستوى آمالها ؛ ذلك أن اعتادة ثالث ولا يزن أن التنبي بلا ارادة نوع من أحلام اليقظة ، يرفض حبي ووبالي لهذا الوطن أن نقع في سرابه أو في ضبابه ؛ عاهدت الله وعاهدتكم على أن تثبت للعالم أن نكسة ١٩٦٧ كانت استثناء في تاريخنا وليست قاعدة وقد كنت في هذا الصدد عن ايماني بالتاريخ يستوعب ٧٠٠٠ سنة من الحضارة ويستشف آفاق أعلم علم اليقين نضال شعبنا وأمتنا لبعلو شأنها وللوصول اليها وتأكيد قيمتها وأحلامها المظمى ، عاهدت الله وعاهدتكم على أن جيلنا لن يسلم أعلامه الى جيل سوف يجيء بعده منكسة أو ذليلة ، وانما سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتنا عزيزة صواريها ، وقد تكون مخضبة بالدماء ، ولكننا قللنا نخفظ برءوسنا عالية في الحسد وقت أن كانت جباهنا تتزف الدم والأرض والمرارة .

□ ذلك قدري وقد حملته على كتفي :

عاهدت الله وعاهدتكم على أن لا أتأخر عن لحظة أجدها ملائمة ، ولا أتقدم عنها ، ولا أغامر ، ولا أتنكأ ؛ وكانت الحسابات مضنية ومضنية فادحة ؛ لكنني أدركت كما قلت أكم وملامة مرارا وتكرارا ان ذلك قدري وأني حملته على كتفي ، عاهدت الله وعاهدتكم وحاولت مخلصا أن أفي بالوعد ملتمسا عون الله وطالبا تفتكم وثقة الأمة وأني لأحسد الله .

ثانيا : لقد كان كل شيء منوطا بإرادة هذه الأمة ، حجم هذه الارادة وعمق هذه الارادة وما كنا نستطيع شيئا وما كان أحد يستطيع شيئا لو لم يكن هذا الشعب ؛ ولو لم تكن هذه الأمة لقد كان النيل طويلا وثقيلا ولكن الأمة لم تفقد يمانها أبدا بطلوع الفجر ؛ وأني لأقول بغير ادعاء أن التاريخ سوف يسجل لهذه الأمة أن نكستها لم تكن سقوطا وانما كانت كبوة عارضة وأن حركتها لم تكن قرارا وانما كانت ارتطاما شاهقا ، لقد أعطى شعبنا جهدا غير محدود وقدم شعبنا تضحيات غير محدودة ، وأظهر شعبنا وعيا غير محدود ؛ وأهم من ذلك كله ؛ أهم من الجهد والتضحيات والوعي ؛ فان الشعب احتفظ بايمانه غير محدود ؛ وكان ذلك هو الخط الفاصل بين النكسة وبين الهزيمة ولقد كنت أحس بذلك من أول يوم تحملت فيه مسئوليتي وقلت راضيا بما شاء الله أن يضعه على كاهلي ، كنت أعرف أن ايمان الشعب هو القاعدة ؛ واذا كانت القاعدة سليمة فان كل ما ضاع يمكن تعويضه ؛ وكل ما تر جعنا عنه نستطيع الانطلاق اليه مرة أخرى .

ويرغم ظواهر عديدة ، بعضها طبيعي وبعضها مصطنع من تأثير حرب نفسية وجهت الينا فقد كان سؤالي لنفسي ولغيري في كل يوم يمر هل القاعدة سليمة .

وكنت واثقا أنه ليس في قدرة أية حرب نفسية مهما كانت ضراوتها أن تمس صلابة هذه القاعدة .

وما دامت القاعدة بخير فان كل شيء بخير ؛ وغير ذلك لن يكون الا زوبعة في فنجان كما يقولون .

لست أنكر أننا وجهنا مصاعب جمة ، مصاعب حقيقية : مصاعب في الخدمات ، مصاعب في التموين ، مصاعب في الانتاج ، مصاعب في العمل السياسي أيضا .

وكنت أعرف الحقيقة ولكنى لم أكن فى موقف يسمح لى بشرحها . كنت أعرف أننا نحاول أن نجعل الحياة مقبولة للناس ، وفى نفس الوقت فان علينا أن نحتاط لما هو منتظر : وكنت واثقا أنه سوف يجىء يوم تظهر فيه الحقيقة لعيون كما كانت ظاهرة لى . وحين تظهر الحقيقة فان الناس سوف يغفرون وسوف يقدرون . وأحمد الله .

ثالثا : ولقد كانت هناك اشارة واضحة الى وجود تمزق فى ضمير الأمة العربية كلها ، وكنت أرى ذلك طبيعيا لأسباب اجتماعية وفكرية زادت عليها مرارة النكسة ، كان هناك من يسألوننى ويسألون أنفسهم ، هل تستطيع الأمة أن تواجه امتحانها الرهيب وهى على هذه الحالة من التمزق فى ضميرها ؟

□ الأمة لا تستطيع أن تكشف نفسها أو جوهرها .. الا خلال ممارسة الصراع .

وكنت أقول أن هذا التمزق فضلا عن أسبابه الطبيعية يمكن تناقضا بين الواقع والأمل وليس فى ذلك ما يخيف بل كنت أعتقد أنه ليس هناك شفاء لضمير الأمة ولا راحة له الا عندما تواجه الأمة لحظة التحدى وأنى أكن فى بعض الأوقات على استعداد للدخول فى مناقشات عقيمة ، هل نعالج التمزق قبل مواجهة التحدى ، أو نقبل التحدى رغم وجود اشارات الى التمزق ؟ .. وكان رأيى أن الأمم لا تستطيع أن تكتشف نفسها أو جوهرها الا من خلال ممارسة الصراع وبمقدار ما يكون التحدى كبيرا بمقدار ما تكون يقظة الأمة واكتشافها لقدرتها كبيرة است أنكر وجود خلافات اجتماعية وفكرية فذلك مسار حركة التاريخ . ولكننى فى نفس الوقت كنت أعرف أن الأمم العظيمة عندما تواجه تحدياتها الكبرى ، فانها قادرة على أن تحدد أولوياتها بوضوح لا يقبل الشك . كما تن مؤمنا بسلامة وصلابة دعوة القومية العربية ؛ وكنت مدركا التفاعلات المختلفة التى تحرك مسيرة أمة واحدة .

□ وحدة العمل سوف تفرض نفسها على كل القوى :

ولكننى كنت واثقا أن وحدة العمل سوف تفرض نفسها على القوى وعلى كل الأطراف وعلى كل التيارات لأننا جميعا سوف نعى أن هذا الظرف ليس مباراة بين الاجتهادات وانما هو الصراع بين الفناء والبقاء، لأمة بأسرها ؟

أحمد الله ..

□ كنت أعرف جوهر قواتنا المسلحة .. لأنى خرجت من صفوفها .

رابعا : ولقد كنت أعرف جوهر قواتنا المسلحة ، ولم يكن حديثى عنها رجما بالغيب ولا تكهنا ، لقد خرجت من صفوف هذه القوات المسلحة وعشت بنفسى تقاليدها ، وتشرفت بالخدمة فى صفوفها وتحت لوائها ؛ ان سجل هذه القوات كان باهرا ولكن أعداءنا : الاستعمار القديم والجديد والصهيونية العالمية ؛ ركزت ضد هذا السجل تركيزا مخيفا لأنها أرادت أن تشكك الأمة فى درعها وفى سيفها ؛ ولم يكن يخدرنى شك فى أن هذه القوات المسلحة كانت من ضحايا نكسة سنة ٦٧ ولم تكن أبدا من أسبابها .

كان فى استطاعة هذه القوات سنة ٦٧ أن تحارب بنفس البسالة والصلابة التى تحارب بها اليوم ، لو أن قيادتها العسكرية فى ذلك الوقت لم تفقد أعصابها بعد ضربة الطيران التى حذر منها عبد الناصر ، أو لو أن تلك القيادة لم تصدر بعد ذلك قرارا بالانسحاب العام من سيناء بدون علم عبد الناصر أيضا .

□ أن قواتنا لم تعط الفرصة لتقاتل عام ٦٧ ..

ان هذه القوات لم تعط الفرصة لتحارب دفاعا عن الوطن وعن شرفه وعن ترابه . لم يهزمها عدوها ولكن أرهقتها الظروف التى لم تعطها الفرصة لتقاتل .

□ ان القوات المسلحة المصرية .. قامت بمعجزة على أعلى مقياس عسكرى .

لقد شاركت مع جمال عبد الناصر فى عملية اعادة بناء القوات المسلحة ؛ ثم شاهدت كل الأقدار أن تحتل مسئولية استكمال البناء ، ومسئولية القيادة العليا لها . ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أيدى جنودها وضباطها ، لقد أعطت نفسها بالكامل لواجبها ، استوعبت العصر كله تدريبا وسلاحا ، بل وعلما واقتدارا وحين أصدرت لها الأمر أن ترد على استفزاز العدو ، وأن تكبح جماح غروره ، فانها أثبتت نفسها . أن هذه القوات أخذت فى يدها ، بعد صدور الأمر لها زمام المبادأة وحققت مفاجأة العدو ، وأفقدته توازنه بحركتها السريعة .

لقد كانت المخاطرة كبيرة وكانت التضحيات عظيمة ولكن النتائج المحققة معركة هذه الساعات الست الأولى من عبورنا كانت هائلة ، فقد اقتلع المتعرض توازنه الى هذه الغطسة ، استعادت الأمة الجريحة شرفها ، تحيت الجريحة السياسية لتشرق الوسط .

أننا نسجل من هذا تقتنا بالقوات المسلحة ..

وانا كما نقول ذلك اعتزازا وبعض الاعتزاز ايمان ، فان الواجب يقتضينا أن نسجل من هنا ، وباسم هذا الشعب ، وباسم هذه الأمة تقتنا المطلقة فى قواتنا المسلحة ، تقتنا فى قيادتها التى خططت ، وتقتنا فى ضباطها وجنودها الذين نفذوا بالتأثر والقدم ، تقتنا فى ايمان هذه القوات المسلحة وتقتنا فى علمها . تقتنا فى سلاح هذه القوات المسلحة وتقتنا فى قدرتها على استيعاب هذا السلاح

أقول باختصار : أن هذا الوطن يستطيع أن يطمئن ويأمن بعد خوف ، أنه قد أصبح له درع وسيف .

أريد من هنا أن أشد انتباه حضراتكم معى الى الجبهة الشمالية حيث يحارب الجيش السورى العظيم ، معركة من أمجد معارك الأمة العربية تحت القيادة المخلصة والحازمة للبطل الرئيس حافظ الأسد .

أقول لاخواننا فى الجبهة الشمالية :

انكم حاربتم حرب رجال وصمدتم صمود الأبطال وأريد أن أقول لاخواننا فى الجبهة الشمالية أنكم عاهدتم وكنتم الأوفياء للعهد وصادقتم وكنتم أشرف الأصدقاء وقاتلتم وكنتم أشجع المقاتلين .. انكم حاربتم حرب رجال وصمدتم صمود أبطال .

أقول لأخواننا فى الجبهة الشمالية .. انكم أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر .

ولم يكن فى مقدورنا أن نجد رفقة سلاح أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر من هذه الرفقة التى تشرفنا بالقتال فيها معكم ، ضد عدو واحد لنا هو عدو أمتنا العربية كلها . لقد كنا معا طلائع المعركة . تحملنا معا ضراوتها ودفعنا معا أفدح تكاليفها من دمائنا ومن مواردنا ، ولسوف نواصل القتال ولسوف نتحدى الخطر ، ولسوف نواصل مع اخوة لنا ، تنادوا الى الساحة صادقين مخلصين . سوف نواصل جميعا دفع ضريبة العرق والدم حتى نصل الى هدف رضاه لأنفسنا ورضاء أمتنا لهذه المرحلة ، هذه المرحلة الخطيرة من مراحله المتصلة والمستمرة .

أننا نعلم أن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا .. أمام عملية يوم ٦ من أكتوبر ١٩٧٣ .

ولست أتجاوز اذا قلت أن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالدهش والتدقيق أمام عملية يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ حين تمكنت القوات المسلحة المصرية من اقتحام مانع قناة السويس الصعب ، واجتياح خط بارليف المنيع واقامة رءوس جسور لها على الضفة الشرقية من القناة ، بعد أن أفقدت العدو توازنه كما قلت فى ست ساعات .

ايها الاخوة والاخوات :

□ كان ذلك عن الحرب ، والآن ماذا عن السلام ..

عندما نتحدث عن السلام فلا بد لنا أن نتذكر ولا تسى ، كما لابد لغيرة الا ينتابنى حقيقة الأسباب التى من أجلها كانت حربنا . وقد تأذنون لى أن أضع بعض هذه الأسباب محددة ناصعة أمام حضراتكم .

أولا : أننا حاربنا من أجل السلام .. حاربنا من أجل السلام الوحيد الذى يستحق وصف السلام ، وهو السلام القائم على العدل ، ان عدونا يتحدث أحيانا عن السلام ، ولكن شتان ما بين سلام العدوان وسلام العدل .

ان داڤيد بن جوريون هو الذى صاغ لاسرائيل نظرية فرض السلام ، والسلام لا يفرض ، والحديث عن فرض السلام معناه التهديد بشن الحرب أو شنها فعلا .

□ ان عدونا وقع فى خطأ .. تصور أن قوة الارهاب تستطيع ضمان الأمن .

والخطأ الكبير الذى وقع فيه عدونا انه تصور أن قوة الارهاب تستطيع ضمان الأمن ، ولقد ثبت عمليا اليوم وفى ميدان القتال عقم هذه النظرية ، ثبت أنها اذا صلحت بضعف الآخرين فى يوم ، فانها لا تصلح أبدا مع استجمع هؤلاء قوتهم فى كل يوم ، ولست أعرف كيف كان لداڤيد بن جوريون أن يفكر لو أنه كان فى مركز القيادة فى اسرائيل اليوم ؟ هل كان فى استطاعته أن يفهم طبيعة التاريخ ؟ أو أنه كان سيظل كما نرى قيادة اسرائيل اليوم فى موقف معاد للتاريخ ؟ .

□ السلام لا يفرض .. وسلام الأمر الواقع لا يقوم ولا يدوم :

ان السلام لا يفرض وسلام الأمر الواقع لا يقوم ولا يدوم ، السلام بالعدل وحده ، والسلام ليس بالارهاب مهما أمعن فى الطغيان ، ومهما زين له غرور القوة أو حماقة القوة .

ذلك الغرور وتلك الحماقة اللتان تسادى فيها عدونا ، ليس فقط خلال السنوات الست الأخيرة ، بل خلال السنوات الخمس والعشرين ، أى منذ قامت الدولة الصهيونية باغتصاب فلسطين ـ ولقد تسائل قادة اسرائيل اليوم : أين ذهبت نظرية الأمن الاسرائيلى ، التى حولوا اقامتها بالعنف تارة وبالجبروت تارة أخرى ، طوال خمس وعشرين سنة ؟ لقد انكسرت وتحطمت .

قوتا العسكرية تتحدى اليوم قوتهم العسكرية ، وها هم فى حرب طويلة مستدة ، وهم أمام استنزاف نستطيع نحن أن نحتمله بأكثر وأوفر مما يستطيعون .

وها هم .. عمقهم معرض اذا تصوروا أن فى استطاعتهم تخويفنا بتهديد العمق العربى .

□ اننا لسنا دعاة ابادة كما يزعم العدو :

وربما أضيف لكى يسمعنى فى اسرائيل اننا لسنا دعاة ابادة كما يزعمون ، أن صواريخنا المصرية عابرة سيناء من (طراز فاتر) موجودة الآن على قواعدها ، مستعدة للانطلاق بإشارة واحدة الى أعماق الأعماق فى اسرائيل .

ولقد كان فى وسعنا منذ الدقيقة الأولى للمعركة أن نعطى الاشارة وتصدر الأمر خصوصا وأن الخبلاء والكبرياء الفارغة أوهمتهم بأكثر مما يقدرون على تحمل تبعاته ، لكننا ندرك مسئولية استعمال أنواع معينة من السلاح ، ونرد أنفسنا بأنفسنا عنها ، وان كان علينا أن يتذكروا ما قلته يوما وما زلت أقوله : « العين بالعين ، والسن بالسن ، والعمق بالعمق » .

ثانيا : اننا لم نحارب لكى نعتدى على أرض غيرنا واننا حاربنا ونحارب وسوف نواصل الحرب لهدفين اثنين :

الأول : استعادة أراضينا المحتلة بعد سنة ١٩٦٧

الثاني : ايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة فلسطين .

هذه هي اهدافنا من قبول مخاطر القتال ، ولقد قبلناها ردا على استفزازات لا تحتمل ولا تطاق ، ولم نكن البادئين بها وانما كنا فيها ندافع عن أنفسنا وعن حريتنا وعن حقنا في الحرية والحياة .

الأول : استعادة أراضينا المحتلة بعد حرب سنة ١٩٦٧

الثاني : ايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين هذه هي اهدافنا من قبول مخاطر القتال ولقد قبلناها ردا على استفزازات لا تحتمل ولا تطاق ولم نكن البادئين بها وانما كنا فيها ندافع عن أنفسنا وعن حريتنا وعن حقنا في الحرية والحياة .

ان حربنا لم تكن من أجل العدوان ونكن ضد العدوان ، ولم نكن في حربنا خارجين على القيم ولا القوانين التي ارتضاها مجتمع الدول لنفسه وسجلها في ميثاق الأمم المتحدة الذي كتبته الشعوب الحرة بدمائها بعد انتصارها على الفاشية والنازية ، بل لعلنا أن نقول ان حربنا هي استمرار للحرب الانسانية ضد الفاشية والنازية ، ذلك لأن الصهيونية بدعاويها العنصرية وبمنطق التوسع باليشن ليست الا تكرارا هزيلا للفاشية والنازية يثير الازدراء ولا يثير الخوف ، ويبعث على الاحتقار أكثر مما يبعث على الكراهية .

اننا في حربنا كنا نتصرف وفق نص وروح وميثاق الأمم المتحدة وليس مجافاة للروح ولا للنص ، وفي جانب الميثاق نفسه فلقد كنا نتصرف تقديرا واحتراما لقرارات المنظمة الدولية سواء على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة أو على مستوى مجلس الأمن .

يها الأخوة والأخوات :

لقد شهد العالم كله لنا بالحق ، وأشاد بشجاعتنا دفاعا عن هذا الحق . أدرك العالم أننا لسنا البادئين بالعدوان ولكننا المبادرون بواجب الدفاع عن النفس .

لسنا ضد فيتو وقوانين مجتمع الدول ولكننا مع فيتو وقوانين مجتمع الدول ، لسنا معاذير حرب وانما نحن طلاب سلام .

أدرك العالم ذلك كله وكان يتعاطف من قبل ذلك مع قضيتنا ، واليوم زاد في تعاطفه معنا احترامه لتصميمنا على الدفاع عن هذه القضية ، ولقد كنا نطمئن بعطف العالم ، ونحن الآن نعتز باحترامه .

واقول لكم بصدق وأمانة انني أفضل احترام العالم ولو بغير عطف على عطف العالم اذا كان بغير احترام .

وأحمد الله .

ايها الأخوة والأخوات :

ان دولة واحدة اختلفت مع العالم كله ولم تختلف معنا فقط انما مع العالم كله كما قلت ، هذه الدولة هي الولايات المتحدة ، لقد فوجئت كما تدعي بأننا حاولنا رد العدوان ولسنا نفهم كيف وماذا فوجئت ؟ هذه الدولة لم تكتف كما تقول بأنها فوجئت وانما أفاقت من المفاجأة دون أن تعود الى الصواب .

ومن المؤسف والمحزن أن يكون هذا موقف واحدة من القوى الأعظم في هذا العصر .

لقد كنا نتوقع أو ربما تمنى صد الشواهد والتجارب كلها أن تفيق الولايات المتحدة الأمريكية من المفاجأة الى الصواب ، لكن ذلك لم يحدث ورأينا الولايات المتحدة تخرج من المفاجأة الى مناورة . ان غرضها الأول هو وقف اشتداد والعودة الى خطوط ما قبل أكتوبر ، وكان يمكن أن نغضب من هذا المنطق المعكوس ولكننا لم نغضب لأننا نتق في أنفسنا من ناحية ومن ذحية أخرى لأننا بالعمل نريد أن نساهم في سلام العالم .

ان العالم يدخل في عصر من الوفاق بين القوتين لأعظم ونحن لا نعارض سياسة الوفاق . كان لنا تحفظ واحد عليها وما زال

لحفظ ذلك . اذا كنا نريد أن ينعم العالم بعد استحالة الحرب العالمية الى عصر من السلام فان السلام ليس معنى مجردا أو مطلقا ، السلام له معنى واحد . هو أن يشعر كل الشعوب فى الأرض أنه سلام لن وليس سلاما مفروضا عليها .

واني لأقول أمام حضراتكم وعلى مسمع من العالم : نحن نريد أن تنجح وأن تدعم سياسة الوئام ، ونحن على استعداد للمساهمة فى انجاحها وتدعيمها .

ولكننا نرى ـ وبحق ـ أن ذلك لا يمكن أن يحدث بينما العدوان قائم ضد أمة عربية بأسرها بقد فى قلب العالم استراتيجيا وتملك أهم ثروته اقتصاديا .

ان أى تسوية لهذه الحقيقة البديهية ليس تجاهلا فحسب ، وانما هو اهانة لا ترتضيها لأنفسنا ولا للعالم الذى يعرف أهمية وقيمة المنطقة التى نعيش فيها وعليه أن يعرف الآن أن هذه المنطقة قادرة على أن تصنع وأن تسمع .

يا الأخوة والأخوات :

ان الولايات المتحدة بعد المناورة التى رفضنا مجرد مناقشتها خصوصا بعد أن فتحنا طريق الحق بقوة السلاح تدفعت الى سياسة لا نستطيع أن نسكت عليه . لا نستطيع أن نسكت عليها أمتنا العربية. ذلك أنها أقامت جسرا سريعا ينقل به المعونات والمساعدات العسكرية لاسرائيل .

ثم كنت الولايات المتحدة ان سلاحها هو الذى مكن اسرائيل من تعطيل كل محاولات الحل السلمى لأزمة الشرق الأوسط فاذا هى الآن تتورط فيما هو أفدح وفيما هو أخطر فى عواقبه ، بينما نحن نقاتل العدوان ، وبينما نحاول ازاحة كابوسه عن أراضينا المحتلة اذ هى تسارع الى العدوان تعوضه عما خسره ـ ٥٥٠ ـ لم يكن ذلك .

ان الولايات المتحدة تقيم جسرا بحريا وجويا تتدفق منه تم اسرائيل دبابات جديدة وطائرات جديدة ومدافع جديدة وصواريخ جديدة والكترونيات جديدة ، ونحن نقول لهم ان هذا لن يخيفنا ولكن عليكم وعينا قبل أن تصل الأمور الى نقطة اللاعودة أن نفهم الى أين والى متى تأ وأين ونحن خريطة الشرق الأوسط وأيست اسرائيل الى أين ومصالحكم كلها عندنا وليست فى اسرائيل ؟ الى أين والى متى ؟

ايها الأخوة والأخوات :

لقد فكرت أن أبعث الى الرئيس ريتشارد نيكسون بخطاب أحدد فيه موقفنا بوضوح ولكننى ترددت خشية اساءة التفسير ، ولذلك قررت أن أستعيض عن ذلك بتوجيه رسالة مفتوحة اليه من هنا ، رسالة لا يسبقه لقول ولكن تليها الثقة ، رسالة لا تصدر عن ضعف ولكن تصدر عن رغبة حقيقية فى صون السلام ودعم الوفاق ، أريد أن أقول له بوضوح ان مطلبنا فى الحرب لا حاجة بنا لاعادة شرحه ، واذا كنتم تريدون معرفة مطلبنا فى السلام فاليكم مشروعنا للسلام :

أولا : اننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التى أممت بها الاحتلال الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، ولايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، ونحن فى هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة فى الجمعية العامة ومجلس الأمن .

ثانيا : اننا على استعداد للقبول وقف اطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المحتلة فورا ونحن شرائ دولى الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ٦٧ .

ثالثا : اننا على استعداد فور اتمام الانسحاب من كل هذه الأراضى ، أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة ، سوف أحاول جهدى أن أقنع به وفاقى من القادة العرب المسئولين مباشرة عن ادارة صراعها مع العدو ، كما انى سوف أحاول جهدى أن أقنع به مسئلى

الشعب الفلسطيني وذلك لكي يشارك معنا ومع مجتمع الدول في وضع قواعد وضوابط السلام في المنطقة بقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

رابعا : اننا على استعداد هذه الساعة ، بل هذه الدقيقة ، أن نبدأ في تطهير قناة السويس وفتحها أمام الملاحة العالمية لكي تعود الى أداء دورها في رخاء العالم وازدهاره ، ولقد أصدرت الأمر بالفعل الى رئيس الهيئة قناة السويس بالبدء في هذه العملية غداة اتمام تحرير الضفة الشرقية للقناة ، وقد بدأت بالفعل مقدمات للاستعداد لهذه المهمة .

خامسا : اننا لسنا على استعداد في هذا كله لقبول وعود مبهمة أو عبارات مطاطة تقبل كل تفسير وكل تأويل ، وتستنزف الوقت فيما لا جدوى فيه ، وتعيد قضيتنا الى جمود لم نعد نقبل به مهما كانت الأسباب اذ غيرنا أو تضحيات بالنسبة لنا ، ما نريده الآن هو الوضوح في العبارات والوضوح في الوسائل .

يا الاخوة والاخوات :

لقد قلنا كلمتنا وأدعو الله مخلصا أن يفهمها الجميع في اطارها الصحيح ، وأن يضعوها على الخط المستقيم ، وأن يحسنوا تقدير الأمور . ان هذه الساعة تتطلب شجاعة الرجل وعقل الرجال . ومن جانبنا فاننا نواجه هذه الساعات بخضوع الصادقين مع الله ومع أنفسهم ومع أمتهم ومع انسانيتهم ، هذه ساعات تدور فيها معارك أكثر مما تدار من أسنحة تقليدية حتى في حروب المسألة ، هذه ساعات تتقرر فيها مصائر وتتحدد فيها علاقات سوف تفرض نفسها على المستقبل وهي تؤكد نفسها في الحاضر ، هذه ساعات يتقدم فيها أبطال ؛ وهذه ساعات يسقط ... بل يرتفع ... فيها شهداء ، هذه ساعات حافلة بمشاعر متباينة تتنزع فيها مسيحة الفرح بمشاعر عميقة أخرى ، ذلك أننا كنا ولا زلنا نريد السلام ولا نريد الحرب ، لكننا كما لا نزال نريد الحق حتى اذا فرضت علينا الحرب ، وحتى كانت نشوة الانتصار تملأ كل القلوب فاننى كنت فيما بيني وبين ربي أعرف مدى العناء الانساني الذي ندفعه في سبيل النصر .

ولقد كنت أتتبع أنباء انتصاراتنا في خشوع لأنني أعرف الحرب ، ولقد كان أصدق القائلين هو الذي علمنا « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » .

يا الاخوة والاخوات :

هذه ساعات نعرف فيها أصدقاء ونعرف فيها الأعداء ، ولقد عرفنا أنفسنا ، ولقد عرفنا أصدقاءنا وكنوا أصدق وأخلص ما نطلب من الأصدقاء ، ولقد كنا نعرف عدونا دائما ، ولسنا نريد أن نزيد من أعدائنا بل اننا لتوجه الكلمة بعد الكلمة ، ولتنبيه بعد التنبيه ، والتحذير بعد التحذير ، لكي نعطي للجميع فرصة يراجعون ولعلهم يتراجعون ، ككنا يعون لله قادرون بعد الكلمة وبعد التنبيه ، وبعد التحذير ، أن توجه الضربة بعد الضربة ، ولسوف نعرف متى وأين وكيف اذا أرادوا التصادم فيجب يفعلون . الأمة العربية كلها ، وأسمح لنفسي أن أعبر عنها ، لن تنسى مواقف هذه الساعات ، ان الأمة العربية لن تنسى أصدقاءها هذه الساعات ، ان الأمة العربية لن تنسى أعداء هذه الساعات الذين يقفون مع عدوها .

ربنا كن لنا عونا وهدى ، ربنا بارك لنا في شعبنا وفي أمتنا ، ربنا انك وعدت ووعدك الحق ـ ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم